Journal of Human and Social Sciences (JHSS) • Vol 9, Issue 8 (2025) • P: 11 - 1
https://journals.ajsrp.com/index.php/jhss
ISSN: 2522-3380 (Online) • ISSN: 2522-3380 (Print)

General social aspects in Baghdad through the book 'Nishwar Al-Muhadara' by Al-Tanukhi

Asst-Lecturer. Ahmad Taleb Malouh[1], Asst-Prof. Hamid Karimipour*[2]

[1]PhD Student | the University of Tehran | Alborz Campus | Iran

[2]Faculty Member | the University of Tehran | Alborz Campus | Iran

Received: 05/07/2025

Revised: 12/07/2025

Accepted: 03/08/2025

Published: 30/08/2025

* Corresponding author: karamipour@ut.ac.ir

Citation: Malouh, A. T., & Karimipour, H. (2025). General social aspects in Baghdad through the book 'Nishwar Al-Muhadara' by Al-Tanukhi. *Journal of Humanities & Social Sciences, 9*(8), 1 – 11. https://doi.org/10.26389/AJSRP.B070725

2025 © AISRP • Arab Institute for Sciences & Research Publishing (AISRP), United States, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: The book "Nishwar Al-Muhadara wa Akhbar Al-Mudhakara" by Al-Tanukhi is one of the distinguished historical books in which the author carefully recorded the various daily events that he witnessed and heard in Baghdad. He conveyed to us the various daily activities carried out by the people of Baghdad, including economic, cultural, social, and political activities, which gave us an idea and a historical glimpse of Baghdad during the third and fourth centuries AH / ninth and tenth centuries AD. Al-Tanukhi spent twenty years writing his book and published it in eleven volumes. The daily economic activities of agriculture, industry, and trade were truly important aspects of daily life for the people of Baghdad, as al-Tanukhi mentioned them in his narrative of events and what he heard and saw. His writings on public life were particularly important in historical writings, especially since Baghdad was the capital of the Abbasid Caliphate. His information constituted an important and candid source of information about the reality of that time. Studying economic life not only provides us with a historical overview of public life, but also insight into the most important agricultural products, the most important crafts and industries, and the transactions and agreements between the people of Baghdad.

The research aimed, in its content, to provide a historical overview of aspects of public life for the people of Baghdad through al-Tanukhi's lectures. We followed a historical approach based on collecting scientific material from historical sources and critiquing and analyzing it to arrive at historical truth. Our research reached several results, which we mentioned in the conclusion and its summary: that there is a mutual influence between the public and the authorities that contributes to the nature of the course of historical events, regardless of their activities, especially economic ones.

Keywords: Baghdad, Nashwar lecture, economy, agriculture, industry, trade.

المظاهر الاجتماعية العامة في بغداد من خلال كتاب نشوار محاضرة التنوخي

المدرس المساعد / أحمد طالب ملوح[1]، الأستاذ المساعد / حميد كرمي پـور*[2]

[1]طالب دكتوراه | جامعة طهران | فرع البرز | إيران

[2]عضو هيئة تدريس | جامعة طهران | فرع البرز | إيران

المستخلص: يعد كتاب نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة للتنوخي من الكتب التاريخية المميزة واظب فيه الكاتب على تسجيل مختلف الاحداث اليومية التي عاصرها وسمعها في بغداد، فنقل لنا مختلف النشاطات اليومية التي قام بها البغداديين من نشاطات اقتصادية وثقافية واجتماعية وسياسية مما اعطانا فكرة ولمحة تاريخية عن بغداد خلال القرن الثالث والرابع الهجري / التاسع والعاشر الميلادي، حيث قضى التنوخي عشرون عاماً في تدوين كتابه واخرجه في احدى عشر مجلداً.

شكلت النشاطات الاقتصادية اليومية من الزراعة والصناعة والتجارة لدى البغداديين أهمية حقيقية من اعمال الحياة اليومية، حيث وقع التنوخي على ذكرها في طريقة سرده للأحداث وما سمعه ورآه، وقد شكلت كتاباته عن الحياة العامة أهمية في الكتابات التاريخية خاصة أن بغداد هي حاضرة الخلافة العباسية فشكلت معلوماته مصدراً مهماً وصريحاً عن الواقع الذي كان آنذاك، إن دراسة الحياة الاقتصادية لا تعطينا لمحة تاريخية عن الحياة العامة فحسب وإنما معرفة بأهم المواد المزروعة واهم الحرف والصناعات وما كان بين البغداديين من معاملات واتفاقيات بيع وشراء.

وقد هدف البحث في مضمونه لاعطاء لمحة تاريخية عن مظاهر الحياة العامة للبغداديين من خلال نشوار المحاضرة للتنوخي، وقد تم اتباع المنهج التاريخي القائم على جمع المادة العلمية من مصادرها التاريخية والعمل على نقدها وتحليلها للوصول للحقيقة التاريخية، وقد توصل بحثنا لعدة نتائج وقعنا على ذكرها في الخاتمة وخلاصتها، أن بين العامة والسلطة تأثير متبادل يساهم في طبيعة سير الاحداث التاريخية على اختلاف النشاطات وخاصةً الاقتصادية منها.

الكلمات المفتاحية: بغداد، نشوار المحاضرة، الاقتصاد، الزراعة، الصناعة، التجارة.

أولاً- مقدمة:

شكل القرن الثالث والرابع الهجري / التاسع والعاشر الميلادي (200-384هـ/800-994م) فترة حاسمة من تطور الحياة الاقتصادية في العراق، حيث شكلت السيطرة البويهية على الخلافة العباسية تحولات وتبدلات كبيرة في الحياة اليومية للبغداديين وخاصةً من الناحية الاقتصادية، وعلى الرغم من أهمية فهم ودراسة الأوضاع العامة ومنها الاقتصادية لعامة البغداديين فقد جاءت اغلب الكتابات والدراسات التاريخية في صيغة خاصة لدراسة الطبقات العليا والمتحكمة والمؤثرة بمناحي الحياة اليومية للبغداديين مغفلة الدور الحقيقي الذي يشكله عامة البغداديين في سير الاحداث التاريخية خاصةً من الناحية الاقتصادية حيث تشكل النشاطات الاقتصادية اليومية للبغداديين من زراعة وصناعة وتجارة الشريان الرئيسي لاستمرار وتطور أي حضارة أو دولة، حيث أن هذه النشاطات لم تكن لكسب لقمة العيش فحسب وإنما لمشاركة كافة الأفكار والمعارف وبناء العلاقات كما أن هذه النشاطات كانت أداة لتناقل الاخبار والسيطرة السياسية على العامة.

لم تكن الأسواق في العراق بشكل عام وفي بغداد بشكل خاص مكان للبيع والشراء فحسب وانما كانت سبيلا لنشر أي إشاعة أو ابراز دور أي قائد وايضاً موقعاً لاحتجاج العامة على القرارات الرسمية من السلطة العليا الممثلة بالخلافة العباسية والسلطنة البويهية، كما أنها مكان للمنافسة بين الخطباء والشعراء، لذا شكلت الدراسة التاريخية لأحوال العامة وحياتهم اليومية مكانة مميزة تعطينا لمحة كاملة عن طبيعة الحياة في ذلك الوقت.

شكل كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للمؤلف المحسن بن علي التنوخي أهمية أدبية وتاريخية فكأنّك تنتقل من صفحاته إلى القرن الثالث الهجري والرابع الهجري بشكل خاص وتتمشّى في بغداد بين الأسواق والقصور والمنتزهات ودور الفقراء ومجالس القضاء حتى كتاتيب الأطفال ومن نوادر كتب الأخبار والأسمار العربية في سياقها ومرامیها، قضى التنوخي في تأليفه عشرين عاماً، وأخرجه في أحد عشر مجلداً، واشترط على نفسه فيه ألا يضمنه شيئاً نقله من كتاب، وعرّفه بأنه كتاب يشتمل على ما تناثر من أفواه الرجال، وما دار بينهم في المجالس، لذلك سماه نشوار المحاضرة، لأن النشوار: ما يظهر من كلام حسن، يقال: إن لفلان نشواراً حسناً، أي كلاماً حسناً. وذكر عن سبب تأليفه أنه اجتمع قديماً مع مشايخ قد عرفوا أخبار الدول وشاهدوا كل غريب وعجيب، وكانوا يوردون كل فن من تلك الفنون فيحفظ ذلك ويتمثل به، فلما تطاولت السنون ومات أكثرهم، خشي أن يضيع هذا الجنس، فأثبته.

ومن ذلك فقد جاءت دراستنا عن بغداد من خلال كتاب نشوار المحاضرة كونه من المصادر التاريخية المهمة التي ذكرت احداث مختلفة عن بغداد في القرن الثالث وخاصة الرابع كونه عصر المؤلف.

ثانياً- أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من أهمية الفترة التاريخية التي تناولها البحث حيث أن السيطرة البويهية على العراق بشكل عام وبغداد بشكل خاص بوصفها مركز الخلافة وتحكم سلاطين البويهيين بالحكم جعل الكلمة الأولى لهم وليس للخليفة العباسي الأمر الذي يجعل دراستنا من جهة دراسة للمظاهر الاجتماعية وخاصة الاقتصادية في بغداد في العصر البويهي ومن جهة أخرى دراسة لتأثير السياسة البويهية وإدارتهم على الأحوال اليومية للبغداديين.

كما أن القيمة العلمية التي تنبع من كتاب نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة للتنوخي أعطت لدراستنا تخصصاً يهتم بدراسة المظاهر الاجتماعية (الاقتصادية والتجارية انموذجاً) وذلك من خلال هذا الكتاب، حيث أن التنوخي يعد شاهداً للعديد من الاحداث التي وقع على ذكرها في كتابه، مما يضفي على مضمون البحث مصداقية نابعة من شاهد عيان.

ثالثاً- سبب اختيار البحث:

يعود سبب اختيار البحث للرغبة في دراسة المظاهر الاجتماعية العامة في بغداد من خلال كتاب نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة للتنوخي، حيث تمتع هذا الكتاب بمصداقية معلوماته كونها نابعة من المؤلف، وقد شكلت الفترة البويهية أثر مهم في دراسة المظاهر الاجتماعية حيث تعد فترة مهمة تغيب عن ذكرها العديد من الدراسات ولا نعني الاحداث السياسية وإنما المظاهر الاجتماعية وخاصةً من الجانب الاقتصادي والتجاري.

رابعاً- هدف البحث:

يهدف البحث في مضمونه على دراسة المظاهر الاجتماعية العامة في بغداد خلال القرنين الثالث والرابع الهجري/التاسع والعاشر الميلادي من خلال كتاب نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة للتنوخي وتصليت الضوء على واقع الحياة الاقتصادية والتجارية أنموذجياً، من زراعة وتجارة وصناعة، ومعرفة أثر السلطة السياسية على واقع المجتمع البغدادي وحياته اليومية في واقع السيطرة والإدارة البويهية.

خامساً- إشكالية البحث:

يتناول البحث سؤالاً رئيسياً وهو:

ما هي المظاهر الاجتماعية العامة التي كانت في بغداد من خلال كتاب نشوار محاضرة التنوخي؟

وقد تفرع عن السؤال الرئيسي عدة أسئلة فرعية تم الإجابة عنها ضمن البحث والنتائج، ومنها:

1- ما هي طبيعة الأوضاع السياسية في بغداد في ظل الحكم البويهي؟
2- ما هو أثر السلطة السياسية المتمثلة بالبويهيين على الحياة الاقتصادية لعامة سكان بغداد؟
3- ما هي الأنشطة الزراعية العامة التي كان يقوم بها البغداديون؟
4- ما هي الأنشطة الصناعية العامة التي كان يقوم بها البغداديون؟
5- ما هي الأنشطة التجارية العامة التي كان يقوم بها البغداديون؟
6- ما أهمية كتابات التنوخي في كتابه نشوار المحاضرة في توثيق الاحداث والمظاهر الاجتماعية العامة للبغداديين؟

سادساً- منهج البحث:

المنهج التاريخي – الوصفي التحليلي

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التاريخي التحليلي الذي يقوم على جمع المادة التاريخية العلمية والعمل على نقدها وتحليلها ووصفها من اجل الوصول لأقرب حقيقة تاريخية متمثلة في طبيعة المظاهر الاجتماعية (الحياة الاقتصادية والتجارية) في الحياة اليومية للبغداديين واهم الاعمال التجارية والزراعية والصناعية التي كانوا يقومون بها بشكل يومي مع تقلب واقعهم واحداث عصرهم تحت السيطرة البويهية.

سابعاً- حدود البحث:

- **الحدود الزمانية:** تمتد خلال القرنين الثالث والرابع الهجري/التاسع والعاشر الميلادي.
- **الحدود المكانية:** تشمل بغداد بشكل خاص والعراق بشكل عام.

المبحث الأول: الأوضاع السياسية خلال القرنين الثالث والرابع الهجري/ التاسع والعاشر الميلادي في العراق بشكل عام وبغداد بشكل خاص:

القت الأوضاع السياسية المضطربة بظلالها على مجمل الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية، فالاستقرار السياسي ومركزية القرار هو ما يعكس حياة العامة ايجابياً، الا انه ومنذ خلافة المعتصم (٢١٨- ٢٢٧ هـ/833-841م) كان للعنصر التركي مقاليد الدولة فاصبح القادة الاتراك هم المتصرفون في الدولة سياسيا واقتصاديا وعسكريا، وهذا الامر استمر لعقود طويلة عانى فيها العراق عامة وبغداد خاصة ظروف اقتصادية واجتماعية صعبة جداً استمرت حتى دخول البويهيين لبغداد عام (٣٣٤ هـ/945م) ففي نهاية القرن الثالث الهجري وتحديدا في عام (٢٩٥ هـ/ ٩٠٨م) حدثت سابقة في مؤسسة الخلافة العباسية فقد بويع لجعفر بن المعتضد ولقب بالمقتدر وهو يومئذ ابن ثلاثة عشر عاما وامه ام ولد يقال لها شغب (الطبري، 1326هـ، ج11، ص 404) ويشير الطبري الى أنَّ بعض القواد والكتاب والقضاة حاولوا خلع المقتدر كونه اصبح اداة بيد الحاشية والنساء الا أن مساعيهم باءت بالفشل بسبب دفاع المستفيدين من بقاءه على سدة الحكم (الطبري، 1326هـ، ج11، ص405) والمقتدر كان مثالاً سيئاً، فقد كان متفرغا للهو والاسراف والمتع الشخصية (التنوخي، 1391هـ، ج1، ص55) مما كان له عظيم الاثر على مجمل الاوضاع الادارية والسياسية في الدولة اذا ما علمنا أن خلافته استمرت بحدود ربع قرن، ويجمل ابن الاثير حال المقتدر بقوله: افضت الخلافة اليه وهو صغير لم يعان الأمور ولا وقف على احوال الملك فكان الامراء والوزراء والكتاب يدبرون الأمور، ليس له في ذلك حل وعقد ولا يوصف بتدبير ولا سياسة وغلب على الأمر النساء والخدم وغيرهم فذهب ما كان من خزائن الخلافة من الاموال بسوء التدبير الواقع في المملكة فادى ذلك الى سفك دمه واضطربت الامور بعده وزال كثير من رسوم الخلافة (ابن الاثير، 1997، ج7، ص75).

لقد شهدت السنوات الثلاثة الاخيرة من حكم المقتدر تمرد القادة والغلمان حتى انتهت خلافة المقتدر بمعركة داخل بغداد اسفرت عن مقتله عام (٣٢٠ هـ/ ٩٣٢ م) (المسعودي، 2002، ج6، ص 61) لينصب القائد التركي مؤنس الخليفة القاهر (320-٣٢٢هـ) من بعده والذي فضله على أبي احمد المكتفي كون القاهر كبير السن ولا ام له فتصنع به ما صنعت شغب ام المقتدر بإبنها. بدا القاهر خلافته بالتنكيل بأولاد الخليفة المقتدر وجدتهم التي كانت لها أموالا عظيمة تفوق الاحصاء (سبط ابن الجوزي، 2013، ج13، ص 321) وكان الخليفة القاهر يتميز بشدته وحذره، فقد استوعب الدرس جيداً فاراد أن يكون هو صاحب المبادرة في تصفية مناوئيه بعد الفراغ من ابناء المقتدر والسيدة شغب توجه نحو القادة الاتراك ليصدر الأوامر بقتل القادة مؤنس وبلبق وابنه علي كما قتل محمد بن المكتفي المرشح للخلافة بعد أن وضع عليه

الجص وهو حي، فكانت مجزرة كبيرة لم ينج منها الا الوزير ابن مقلة حيث اختفى عن الانظار (مسكويه، 2002، ج1، ص 234-237)، شكلت سياسة القاهر تحديا للقادة والجند الذين حققوا له النصر فسجن القائد طريف السبكري (شخصية عسكرية وسياسية بارزة في العصر العباسي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ورد ذكره في عدة حوادث منها أنه خرج سنة 300هـ/ 912م لغزو الثغور البيزنطية كما تآمر مع الوزير ابن مقلة للإطاحة بالقاهر بالله سنة 322هـ/933م (ابن الجوزي، 1992، ج13، ص 317) ولم يعط الجند الجوائز والارزاق كما وعدهم ثم أمر بمنع الخمور ونفي المغنيات، ثم اتضح انه يشرب بإفراط في بلاطه فانقلب شعور الناس ضده، فاجمع القادة الاتراك وسائر المتنفذين على عزله وسجنه عام (٣٢٢ هـ/ ٩٣٤م) ثم سملت عيناه بعد تنازله عن الخلافة حتى لا يكون له نصيبا فيها في المستقبل وكان القاهر اول من سمل من الخلفاء ليقضي بقية عمره في ذل ومهانة ادت به الى التسول امام مسجد المنصور لتنتهي حياته في عام (٣٣٣ هـ/٩٤٤م) لقد كانت محاولة الخليفة القاهر متأخرة والسبب يعود الى سيطرة القادة الترك على مقاليد الادارة في كل مفاصل الدولة كذلك فشل القاهر في تشكيل عصبة تدافع عنه فكانت نهايته بهذا الشكل المهين(المقريزي، 1956، ج1، ص42).

تابع القادة الأتراك تجربتهم في التنصيب والعزل فوقع اختيارهم على ابو العباس احمد بن المقتدر الذي كان مودعا في السجن فاطلقوا سراحه وبايعوه ولقب بالراضي عام (٣٢٢ هـ/٩٣٣ م) . لقد استمر تدهور الأوضاع السياسية في عهد الراضي ليس في بغداد فحسب بل شمل اجزاء كثيرة من العراق وكان الراضي يعاني كسابقيه من قلة الاموال وكلب الجند (الصولي، 1936، ج2، ص 16-17) وعلى الرغم من تحلي الراضي بدماثة الخلق وسخاء اليد الا ان عهده شهد الانحدار الأوسع لسلطة الخلافة على الولايات، حيث سيطر البريديون (الجاف، 2003م، ج2، ص 120) على واسط والبصرة والاهوز ووقعت فارس بيد علي بن بويه . اما اصبهان والري والجبل فكانت موضع نزاع بين أبي الحسن علي بن بويه ووشمكير الديلمي واستقل بنو حمدان في الموصل وديار ربيعة وديار بكر وديار مضر، ومصر والشام تحت سلطة محمد بن طغج الاخشيدي والمغرب وافريقيا في سلطة ابي تميم الفاطمي والاندلس بيد الأمويين وخراسان في يد نصر بن احمد الساماني، اما اليمامة والبحرين وهجر فكانت تحت سيطرة القرامطة، والديلم كانت تحكم طبرستان وجرجان ولم يبق بيد الخليفة الراضي وقائده ابن رائق غير السواد والعراق (مسكويه، 2002، ج1، ص 266-267) حتى صارت البلاد بين خارجي قد تغلب عليها او عامل لا يحمل مالا وصاروا مثل ملوك الطوائف وكل من حصل في يده بلد ملكه ومانع عنه (القرماني، 1992، ج2، ص 146).

امام هذه الأوضاع الصعبة عمل الراضى تدبيرا وجده حسنا باستدعائه عام (٣٢٤ هـ/ ٩٣٦م) ابن رائق الذي كان واليا على واسط والبصرة وسلمه مقاليد الأمور وكلفه تدبير اعمال الخراج والصناع واعمال المعادن في جميع النواحي ثم لقبه امير الامراء وأمر ان يخطب له على جميع المنابر في الدولة العباسية وهذه الصلاحيات انهت عمل الوزير فلم يبق من الوزارة الا اسمها (ابن الاثير، 1997، ج11، ص 254) وقد ظهر لابن رائق منافسون على منصب امرة الامراء وضعف مركزه بعد محاربته لابي عبد الله البريدي عام (٣٢٧ هـ/ ٩٣٨م) ثم خروج احد قواده واسمه بجكم الذي تمكن من دخول بغداد عام (٣٢٧ هـ/ ٩٣٨م) فالت اليه امرة الامراء زهاء عامين في الوقت الذي ساعت فيه احوال العامة في بغداد وكثرت المصادرات وعجز الخليفة عن دفع ارزاق الجند الى ان توفي عام (٣٢٩ هـ/ ٩٤٠ م) (ابن الاثير، 1997، ج11، ص 254) .

استمر منصب امرة الامراء الذي استحدثه الراضي وشملت فترة الخليفة المتقي ابن المقتدر (٣٢٩ - ٣٣٣ هـ) ثم المستكفي ابن المكتفي الذي عزل من قبل البويهيين عام (٣٣٤ هـ/ ٩٤٥م) لقد طلب الخليفة الراضي في اواخر ايامه من امير الامراء بجكم الديلمي أن ينصب ابنه وليا للعهد ليكون خليفة من بعده الا أن بجكم لم يهتم لطلب الخليفة وحين توفي الراضي بقيت الخلافة دون خليفة (مسكويه، 2002، ج6، ص 12) ولم يعين خليفة الا بعد الرجوع الى بحكم الذي كان حينها في واسط فامر كاتبه في بغداد أن يجمع وزير الخليفة السابق وكل من تقلد الوزارة والقضاء ورؤساء الكتاب وبني هاشم ووجوه البلد ليتشاوروا في أمر اختيار الخليفة، وقد اختار المجتمعون ابراهيم بن المقتدر، فاقر بجكم هذا الاختيار واتخذ الخليفة الجديد لقب المتقي الله (الصولي، 1936، ص 188-191) وهذا الأمر يشير الى عظمة وقوة نفوذ امير الامراء، وهذا المنصب يعد تطورا لمنصب الوزارة فقد جمع امير الامراء رئاسة الجيش والخزينة المالية وادارة الدواوين، وهكذا اصبح المنصب فوق الوزارة بل انه ابطلها استمر تدهور الأوضاع العامة في بغداد ايام المتقي بل زاد وتفاقم ولم يكن له من النفوذ الا اسم الخلافة (ابن خلدون، 2000، ج3، ص 498).

ان التنافس بين الامراء اضعف امير الامراء بحكم على الرغم من انتصاره على البريدي في واسط الا ان المصائب تتابعت عليه حتى انتهت بقتله على ايدي بعض الاكراد، وعلى اثر مقتل بحكم دخل ابو الحسن البريدي بغداد في جيش كبير من الاتراك والديلم واستولى على دار الخلافة بعد أن هرب الخليفة المتقى الله وابنه ومحمد بن رائق الى الموصل، فقتل البريديون في بغداد من وجدوه في دار الخلافة ثم عمدوا الى النهب والاذى حتى استاء معظم الناس منهم وبعد غيبة ثلاثة اشهر وعشرين يوما عاد الخليفة الى بغداد عام (٣٣٠هـ/ ٩٤٢ م) (ابن الاثير، 1997، ج11، ص 201-203).

أما الدور العربي فكان دوراً لا يستهان به على الرغم من قوة النفوذ التركي والديلمي، فقد شكل بنو حمدان قوة عربية لا يستهان بها، فقد استطاعوا ان يدخلوا بغداد عام (334هـ/945م) بعد أن استعان بهم الخليفة العباسي المتقي الله، وقد قتل القائد التركي ابن رائق على يد

ناصر الدولة بن حمدان، ولقب ناصر الدولة بأمير الامراء الى أن خرج الحمدانيون من بغداد ادت هذه الصراعات العسكرية بين القادة الى اضطراب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتي تحمل تبعاتها اهل العراق والبغداديون بالخصوص (الازدي، 1985، ص 17).

لقد اتخذ ناصر الدولة ابن حمدان سلسلة من الاجراءات لإصلاح الاحوال في بغداد لكن هذه الاجراءات لم تعط النتيجة المرجوة بل نستطيع القول ان الحمدانيين فشلوا في اعادة الحياة الى بغداد وذلك لأسباب عدة، منها خلاف سيف الدولة الحمداني والقائد توزون وسوء التفاهم بين الخليفة المتقي الله والحمدانيون ووسع هذا الامر حينما اقدم ناصر الدولة ابن حمدان على مضايقة الخليفة واهله بمصادرة ضياعه وضياع والدته، فبعد اقل من عام اضطر الحمدانيون للعودة الى الموصل بعد دخول القائد التركي توزون بغداد عام (٣٣١هـ / ٩٤٣م) ليتولى امرة الامراء (إبراهيم، 1981، ص 128) ونتيجة للضغوط الكبيرة على الخليفة اضطر للهرب مرة ثانية الى الموصل ليستعين بالحمدانيين ولكنهم لم ينجدوه هذه المرة فما كان منه الا ان يستنجد بالاخشيد حاكم مصر بعد ان التقاه في الرقة وعرض عليه الذهاب الى مصر لكنه رفض وعقد صلحا مع توزون الذي اوعز الى جنده بالقبض على الخليفة المتقي وسمل عينيه وحبسه مع القاهر وهما مكحولان (المقريزي، 1956، ج1، ص 43).

ثم بايع توزون عبد الله بن المكتفي عام (٣٣٣هـ/٩٤٤ م) ولقبه المستكفي بالله الذي لم تستمر خلافته أكثر من عام حتى دخل جيش الديالمة بقيادة احمد بن بويه الى بغداد . هكذا كانت الأوضاع في الثلث الأول من القرن الرابع الهجري صراعات سياسية انعكست على حياة الناس بكل سلبياتها فقرا وعوزا واضطرابا اجتماعيا كبيرا (المقريزي، 1956، ج1، ص 44).

المبحث الثاني: أثر السلطة السياسية على الحياة الاقتصادية لعامة سكان بغداد:

كان النشاط الاقتصادي ببغداد في القرن الثالث والرابع الهجري / التاسع والعاشر الميلادي هائلا، فخلال الشطر الأول من هذا القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ساهم ترف بلاط المقتدر ومجتمع الطبقة العليا في ديمومة هذا الانتعاش، كما ساهم بذخ معز الدولة ووزراءه حيث دعموا بأموالهم كافة العلماء والشعراء والفنانين (ضيف، 1995، ج5، ص323)، إلا أن القلاقل في عهد أمراة الامراء السابقين لمعز الدولة أوقعت ضربة مميتة على رأس رخاء المدينة، وبعد معز الدولة كان عهد بختيار على وجه التأكيد ضئيل الجدوى على الحياة الاقتصادية، وقد أعاد عضد الدولة البحبوحة لحقبة قصيرة ، ولكن نهاية فترة الحكم البويهي كانت بلا شك نهاية كارثية اذ نقص مجموع المساحة المسكونة كما نقص السكان(همايلية، 2022، ص95-96).

كان العبث بأموال العامة والاهمال الاداري ولجوء السلطة الى اجراءات المصادرة والغرامات والرسوم الفادحة الجائرة واساءة استعمال السلطة من قبل الموظفين في أعلى السلم الاداري وأدناه والاخلال بالأمن نتيجة للحروب الاهلية وأعمال العصيان الشعبية والعسكرية وجرائم الغوغاء والعيارين ، هذه البلايا كلها لا يمكن أن تؤدي الا الى تأثير كارثي مفجع على الحياة العامة للسكان، فضلاً عن الجوائح الطبيعية كالفيضانات والحرائق العرضية في الكرخ، وفي سوق الثلاثاء، كل هذه الوقائع كانت عاقبتها ارتفاع الاسعار والبؤس أو الجوع (علي، 2022، ص 230-231).

وقد أشار التنوخي الى عبثية المال عندما ذكر يحيى البرمكي نقلاً عن الخطيب البغدادي، فقال: " يحيى بن خالد بن برمك قد أصحبه، فقدم عليه، ووصله يحيى بأموال كثيرة، وكان رجلا لا يمسك شيئا، ينفق المال ويتوسّع فيه، فلم يدع من ذلك المال كثير شيء، حتى هلك"(التنوخي، 1391هـ، ج6، ص160؛ الخطيب البغدادي، 2002، ج10، ص441).

ومما ذكره التنوخي من خلافات على المال من أمر صاعد بن مخلد في خلافة المعتز: " كانت في يد صاعد بن مخلد، ضمانات كثيرة، وكانت إليه معاملة مع أبي نوح، وكان صاعد- إذ ذاك- من وجوه الناس، ولم يكن بلغ المبالغ الكبار، فحضر عنده صاعد، أوّل خلافة المعتزّ، ونحن حضور، فطالبه أبو نوح بأموال وجبت عليه، وجرت بينهما مناظرات، أدّت إلى أن تنطّع في الجواب، فاغتاظ أبو نوح، فأعضّه، فردّ عليه صاعد، مثل ما قاله له، فاستعظم الناس ذلك، فاستخفّوا به، وقالوا: يا مجنون، يا جاهل، قتلت نفسك، قم، قم" (التنوخي، 1391هـ، ج8، ص78)، يصف التنوخي ذلك وهم حضور كجماعة من الناس شاهدوا واقعة الخلاف على المال مما يعطينى وصفاً طبيعياً للخلافات التي كانت بين الناس بشكل عام بسبب المال.

المبحث الثالث: النشاط الزراعي في بغداد من خلال كتاب نشوار المحاضرة:

تأسست مدينة بغداد عام (١٤٥هـ/٧٦٢م) على نهر دجلة، في موقع كان يضم بعض المستوطنات القديمة، حيث كانت قنوات متعددة تربط النهر بالنهر الرئيسي الآخر في المنطقة، الفرات. كان موقعها القريب من تلك القنوات عاملاً أساسياً في اختيار الخليفة العباسي المنصور (حكم ١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٤-٧٧٥م) موقعها، وهو الذي أمر ببناء المدينة الجديدة. اكتمل بناء مدينة بغداد الدائرية عام (١٤٩هـ/٧٦٦م).الحاشية السفليةلم تكن بغداد مجرد مدينة مستديرة، بل سرعان ما امتدت لتشمل مساحات شاسعة خارجها. على الجانب الغربي من نهر دجلة، استقرت القوات في حي الحربية، وسكن العمال الكرخ، حيث نُقلت الأسواق أيضًا في عامي (١٥٧-158هـ/٧٧٣-٧٧٤م)، حيث جاء العديد من

المهاجرين للعيش.الحاشية السفلية وبدأت المدينة أيضًا بالتوسع على الضفة الشرقية لنهر دجلة، بعد أن بنى المنصور معسكرًا في ذلك الموقع لابنه ووريثه محمد المهدي عندما عاد الأخير من خراسان في عام (151هـ/768م)، والذي أصبح يُعرف بالرصافة، حيث تبع ذلك تطور حضري واسع النطاق (الطبري، 1326هـ، ج6، ص 234).

من الضروري لأي نشاط زراعي توفير المياه حيث كان جميع سكان بغداد بحاجة إلى الماء للزراعة ولمجموعة واسعة من الأغراض الأخرى، بدءًا من مرافق الوضوء في المساجد والحمامات أو حولها، وصولًا إلى العمليات الحرفية والري. وقد نُظمت إمدادات المياه إلى المدينة الدائرية وقصر الخليفة عبر قنوات مختلفة في مرحلة مبكرة بأمر من المنصور، كما تم توزيع المياه عن طريق السقاة (السقاؤون)، بالنسبة لأولئك الذين كانوا خارج المدينة المستديرة، كان نظام القنوات الذي يشق المدينة على كلا الضفتين مصدرًا رئيسيًا للمياه، كما يصفه الجغرافي والمؤرخ اليعقوبي في القرن الثالث/التاسع الميلادي، ولأهل الكرخ وما حولها قناة اسمها نهر الدجاج وقناة اسمها نهر ثاني بن الصامح، وعندهم نهر عيسى الكبير الذي ينبع من الجزء الرئيسي من الفرات. وعندهم أيضاً آبار تدخل إليها مياه هذه القنوات، وهي مياه عذبة، يشرب منها جميع الناس، وقد احتاجوا إلى هذه القنوات لكبر المدينة واتساعها(الجاحظ، 1938، ص ٢٧).

القنوات الساسانية الموجودة مسبقًا، مثل نهر الدجيل إلى الشمال من المدينة المستديرة ونهر عيسى (المعروف سابقًا باسم نهر روفيل)، وقد لعبت الأنفاق الواقعة إلى الجنوب، والتي كانت تنقل مياه الفرات إلى نهر دجلة، دوراً هاماً هنا، فقد كانت جزءاً من السبب الذي جعل الموقع جذاباً للغاية في المقام الأول، ولكن بعد تأسيس بغداد، حُفرت قنوات مختلفة لتوفير المياه للسكان، مثل نهر الدجاج ونهر القلاعين في الكرخ، ونهر المهدي على الضفة الشرقية. وللأسف، ليس من الواضح تمامًا دائمًا متى حُفرت هذه القنوات وبأمر من حُفرت، تعددت طرق الزراعة التي واظب عليها البغداديون خلال القرن الثالث والرابع الهجري/التاسع والعاشر الميلادي فمن هذه الطرق طريقة المناوبة حيث كان يتم زراعة نصف الأرض، ويترك النصف الثاني دون زرع، وتتم حراثة الأرض بالمحراث البسيط، الذي تجره الثيران(الجاحظ، 1938، ص ٢٨)، ومن أدوات الفلاح آنذاك المسحاة والكرك، وكان يستعمل المنجل للحصاد. (الثعالبي، ص ٨١؛ ياقوت الحموي، 1993، ج١، ص٨٥)

وكان للتسميد أهمية خاصة في الزراعة، حيث يقول الجاحظ: «إن كل شيء من الخضر لا يصلح ولا يزكو إلا بالزبل والسماد(الجاحظ، 1938، ص٢٥)، وإن خير وسيلة لتسميد البساتين هو أن يوضع السماد قرب جذور الأشجار ثم تروى بعد ذلك. (ياقوت الحموي، 1993، ج4، ص1736)

وكمثال على الأساليب الراقية للزرع الاصطناعي، نذكر ما رواه الثعالبي من أن بنت ناصر الدولة ذهبت للحج عام (٣٦٦ هـ/ ٩٧٦م)، وحملت معها على ظهور الجمال أواني فخار زرعت فيها الخضروات، لم يكن للفلاحين وسيلة لمكافحة الجراد والأوبئة التي تهدد مزارعهم، وكان البلاء الأكبر من الجراد، فقد أضر كثيراً بالزروع في السنوات (٣١١ هـ/923م) (ابن الأثير، 1997، ج٨، ص١٠٦) و (٣٤٦ هـ/957م) (ابن العبري، 1983، ص١٦٥) و (٣٤٨ هـ/959م) (ابن الأثير، 1997، ج٨، ص٣٩٣)

ولم تكن خطورة الحشرات كبيرة، ففي عام (٣٣٤ هـ/945م)، هددت الحشرات المزارع والحدائق، إلا أن طيراً من الطيور أكلها وأنقذ الزروع. (سبط ابن الجوزي، 2013، ج١٢، ص٢١)

ويتناول التنوخي ذكر الافاه بقصة ظريفة، فيذكر: " وحدّثني، قال: حدّثني عبد الله بن معاذ، قال: حدّثني شيخ من أهل المذار، قال: كان لي زرع في ضيعة، وكان حسنا، جيّدا، وافرا، وكنت واسع الطمع فيه، فبتّ ليلة، فرأيت في منامي، كأنّي بنفسين يطوفان الصحارى المزدرعة، ويقول أحدهما للآخر، اكتب: زرع فلان كرّ، وفلان كرّين، قال: وأنا أحفظ الأسماء، وبلغ الكيل إلى أن جاء إلى قراحي، فقال: اكتب ، وزرع فلان ثلاثة أكرار، فقلت له: أعزّك الله، زرعي- والله- في غاية الجودة، وأنا أؤمل فيه عشرة وأكثر، فقال لصاحبه: اكتب ثلاثة أكرار، قال: فلما كان من الغد، انتهت متعجّبا، وقمت، وما مضت أيّام، حتى لحقت الغلّة آفة، ونجا بعض الناس، وأصيب بعضهم، وحصد جيراني، وحصدت". (التنوخي، 1391هـ، ج3، ص55)

بالنسبة للري كانت الحكومة تشرف على توزيع المياه، وكانت مسؤولة بالدرجة الأولى عن إنشاء القنوات والسدود وخزانات المياه والمسنيات، ويتولى ذلك ديوان الخراج وكانت تستخدم لذلك الغرض عدداً كبيراً من المهندسين، وتطلب الحكومة من الملاكين أحياناً أن يشاركوا في تطهير القنوات، ففي عام (٢٨٣ هـ/ ٨٩٦م) أمر المعتضد بكري الدجيل، وطلب من أصحاب الإقطاع والضياع على هذه القناة أن يقدموا (٤٠٠٠ دينار) للنفقة على ذلك. (ابن الجوزي، 1992، ج5، ص١٦٢)

وقد تنوعت آلات الري، فمنها الدلو والغرب، والسانية والناضح إلا أن أكثرها شيوعاً النواعير والدواليب والدوالي والشواديف فالناعور دولاب يديره تيار النهر، وهو أسرع من الدولاب، ويحمل الناعور كيزان لرفع الماء، وللناعور الكامل ثمانون كوزاً، يسع كل منها خمسة عشر رطلاً (الرطل = ٧,٦٥٠ لتراً)، ويصب في كل دورة (١٢٠٠ رطل)، ويروي جريباً كل ساعة. وهكذا يمكن للناعور أن يروي (٣٥٠ – ٤٠٠ جريب) من غلات الشتاء و(٨٠ جريباً) من غلات الصيف (هنتس، 1970، ص٩٦).

أما الدولاب فهو عجلة مائية مثل الناعور إلا أنه أكثر تعقيداً، وهو نوعان: الأول يديره ثور أو حصان أو جمل، والثاني يديره ثوران. ويروي النوع الأول (٧٠ جريباً) من المزروعات الشتوية و (٣٠ جريباً) من مزروعات الصيف. أما النوع الثاني فيروي سبعين جريباً من غلات

الصيف و (١٥٠ جريباً) من مزروعات الشتاء، وقد تعددت الادوات المستخدمة في رواية الأراضي في العراق وخاصةً العراق فكانت النواعير تستعمل في غربي بغداد. (ابن الجوزي، 2016، ص496)

وكانت الدواليب تستعمل في الجانب الغربي من بغداد لري الحدائق(ابن الجوزي، 1341هـ، ص٢٧)، وفي المنطقة الكائنة بين بغداد والأنبار حيث كان الفلاحون أحياناً يستعملون الجمال لتدويرها. (التنوخي، 1391هـ، ج٨، ص١٣٩)

اقتصرت الزراعة في الجنوب على الأراضي المحيطة بالأنهار والممتدة على ضفاف القنوات، أما في الشمال فكانت المزارع مجاورة للضفاف، أو في الأماكن التي يكثر فيها نزول الأمطار، وقد اعتمدت كثافة المزروعات على وفرة المياه وعلى مجال الاستفادة منها، ولهذا كانت الأراضي المحيطة بالبصرة والأراضي بين دجلة والفرات إلى الجنوب من بغداد أكثف المناطق بالمزروعات وتقل كثافة الزروع كلما اقتربنا من الصحراء. (الاصطخري، 2004، ص٨٢؛ ابن حوقل، 1938، ص٢٣٩)

شكلت الحنطة والشعير والتمر والرز، أهم الحاصلات الزراعية في البلاد. وهناك حاصلات أخرى من الحبوب والفواكه، ولكن أهميتها ثانوية بين المنتوجات الزراعية، ويذكر التنوخي الحنطة والشعير في الإحصاء: " ذكر في الكتاب مبلغها وعدد من يحتوي عليه البلد من الناس، والسّفن، والملّاحين، وما يحتاج إليه في كلّ يوم من الحنطة، والشعير، والأقوات، وإنّه حصّل" (التنوخي، 1391هـ، ج1، ص128).

المبحث الرابع: النشاط الصناعي في بغداد من خلال كتاب نشوار المحاضرة:

كانت بغداد تصنع المنسوجات الحريرية الفاخرة، والثياب الحريرية من ألوان مختلفة، والأقمشة القطنية، والعمائم الرقيقة، والمناديل القصرية والبوبية الشهيرة، وكانت ثيابها القطنية الرقيقة منقطعة النظير (ابن الفقيه الهمداني، 1885، ج5، ص٢٥٤)، قال النويري: "ومن كان يريد الثياب الرقاق فليحق... بالعراق" (النويري، 1423هـ، ج١، ص٣٧٢).

وكان السقلاطون، وهو نسيج حريري سميك، وردي اللون، يصنع بالدرجة الأولى في بغداد، وكان لسقلاطون بغداد شهرة خاصة، كما كان نسيج الخز الفاخر يصنع في بغداد، فقد خلف الراسبي (ت ٣٠١ هـ/ ٩١٣م) أكثر من ألف ثوب من الخز الرفيع الطاقي، ويبدو أن سوق الخزازين كان في الكرخ (الصولي، 1936، ص٦٨)، وكانت ثياب الملحم - وهي ثياب سداها من الحرير ولحمتها من القطن تصنع في بغداد، ويذكر المسعودي ان المتوكل كان يفضل لبس ثياب الملحمة على سائر الثياب، واتبعه أهل بيته في ذلك وشاع استعمالها بين الناس وتفنن النساجون في صنعها لتناسب الأذواق المختلفة ويبين أن بعضها كان يستعمل في زمنه عام (٣٣٢ هـ/ ٩٤٢ م) وتسمى المتوكلية وهي في نهاية الحسن والصنيع وجودة الصبغ (المسعودي، 2005، ج٧، ص٢٩٠).

ويورد التنوخي وصفاً لاحد الخياطين وهو يقوم بعمله في سوق الثلاثاء فيذكر: " فجاء بي إلى خيّاط في سوق الثلاثاء، شيخ، وهو جالس يخيط، ويقرىء في المسجد، فقصّ عليه قصّتي، وسأله أن يقصد القائد فيسأله إزاحة علّتي، وكانت داره قريبة من موضع الخيّاط، فقام معنا" (التنوخي،1391هـ ، ج1، ص312).

وكانت الثياب العتابية المشهورة تصنع في محلة العتابية في الجانب الغربي من بغداد وتنسب إليها، وهي ثياب من خيوط القطن والحرير. ويبدو أنها كانت مخططة بخطوط بيضاء وسوداء متوازية، وكانت الأزر تصنع في بغداد (المقدسي، ص ١٢٨).

ويذكر ان بغداد تنتج الأنسجة القطنية والحريرية ، ويبدو أن صناعة النانت واسعة، فحين أراد صمصام الدولة فرض ضريبة العشر على الثياب الحريرية والقطنية عام (٣٧٥ هـ/ 985 م) قدر وارد الضريبة بمليون درهم سنوياً (مسكويه، 2002، ج٣، ص١١٧ – ١١٨؛ ابن الأثير، 1997، ج٩، ص٣٣)، وفي باقدرا وهي قرية على بعد أربعين ميلاً من بغداد كان يصنع نسيج قطني قوي سميك. (ياقوت الحموي، ج1، ص٤٧٥).

ويورد التنوخي وصفاً جميلاً عن الثياب، فيذكر: " وقال لي: كنت أشتري لها ثيابا دبيقيّة، يسمونها ثياب النعال، وذلك إنها كانت صفاقا، تقطع على مقدار النعال المحذوّة، وتطلى بالمسك والعنبر المذاب، وتجمّد، ويجعل بين كل طبقتين من الثياب، من ذلك الطيب ما له قوام، ونحن نفعل بطاقات كثيرة كذا، وتلفّ بعضها على بعض، ثم تصمّغ حوالها بشيء من العنبر، وتلزق حتى تصير كأنّها قطعة واحدة، وتجعل الطبقة الأوّلة بيضاء مصقولة، وتخرز حوالها بالإبريسم، ونجعل لها شركا، من إبريسم كلّها، كالشّرك المضفورة من الجلود، وتلبس، قال: وكانت نعال السيّدة من هذا المتاع، لا تلبس النعل إلّا عشرة أيام، أو حوالها، حتى تخلق، وتتفتّت، وتذهب جملة دنانير في ثمنها، وترمى، فيأخذها الخزّان، أو غيرهم، فيستخرجون من ذلك العنبر والمسك فيأخذونه". (التنوخي، 1391هـ، ج1، ص294).

وتفنن العراقيون في صنع الخزف، حتى كانت مصنوعاتهم منه مشهورة، ومنه الخزف البغدادي، ذات الألوان الزاهية، كما يجب أن تقدر أهمية صناعة الصابون بضوء الأهمية التي كانت للحمامات في الحياة الاجتماعية، وإذا رجعنا إلى الخطيب البغدادي نجده يخبرنا بأن أهالي بغداد وحدها كانوا يحتاجون مليوناً ونصف مليون رطل من الصابون ليلة عيد الفطر، لأن الفرد الواحد يحتاج في تلك الليلة في رأيه إلى رطل واحد (الخطيب البغدادي، 2002، ج10، ص٧٥).

وكان الصابون يصنع بهيئة قطع جامدة (ابن أبي أصيبعة، ج١، ص٢٦٤)، وتستعمل النورة أحياناً في تحضيره(الجاحظ، 1983، ص٢٢٣)، وكان لصناع الصابون محلة خاصة في بغداد في جهة الكرخ. (الخطيب البغدادي، 2002، ص٦٧).

وكانت صناعة العطور، وماء الورد، واستخلاص الأدهان من النباتات والبذور واسعة، ويستفاد منها في الطب وفي الطيب، وكانت بغداد تنتج الشيرج وأنواع الزيوت(المقدسي، ص١٦٠)، وكان لها سوق خاص للعطور. (ابن أبي أصبعة، ج١، ص٢٦٤) .

كما اهتم الوزراء والخلفاء في مجالسهم بمختلف المصنوعات القيمة والفاخرة ومن ذلك يذكر التنوخي: " كان أبو الفتح بن العميد ، الملقب بذي الكفايتين، قد تداخله في بعض العشايا سرور، فاستدعى ندماءه، وعبّى لهم مجلسا عظيما، بآلات الذهب والفضة، وفاخر الزجاج، والصيني، والآلات الحسنة، والطيب والفاكهة الكثيرة، وأحضر المطرب، وشرب بقيّة يومه، وعامّة ليلته، ثم عمل شعرا، أنشده ندماءه، وغنّي به في الحال". (التنوخي، 1391هـ، ج5، ص22).

المبحث الخامس: النشاط التجاري في بغداد من خلال كتاب نشوار المحاضرة:

كان لبغداد سوقان رئيسيان، سوق الكرخ على الجانب الايمن وسوق الثلاثاء على الجانب الايسر عدا الاسواق الاخرى على عدوتي النهر، يتناول التنوخي ذكر فيقول: "سوق الثلاثاء، فإن السوق العظمى في بغداد هي الكرخ" (التنوخي، 1391، ج5، ص 20)، وهي معدن التجار(ابن الأثير، 1997، ج٨، ص٤٥٥؛ الاصطخري، 2004، ص٨٤)، وقد بلغ طولها فرسخان وعرضها فرسخ واحد ، وعلى جانبي درب باب الكرخ تمتد أسواق مهمة. (اليعقوبي، 1422هـ، ص٢٤٦)

وكان لكل تجار وتجارة في الكرخ شوارع معلومة وصفوف في تلك الشوارع وحوانيت وعراص وليس يختلط قوم بقوم، ولا تجارة بتجارة، ولا يباع صنف مع غير صنفه، ولا يختلط أصحاب المهن من سائر الصناعات بغيرهم، وكل سوق مفردة، وكل أهل منفردون بتجاراتهم. (اليعقوبي، 1422هـ، ص٢٤١).

ومن أسواق الكرخ المنفردة، سوق البطيخ للفواكه(الخطيب البغدادي، 2002، ج١، ص ٦٨؛ الثعالبي، ص٤١١)، وسوق البزازين لبيع الأقمشة، وسوق الطعام (الخطيب البغدادي، 2002، ص٦٧)، وسوق العطارين (ابن الجوزي، ص٢٧ – ٢٨؛ اليعقوبي، 1422هـ، ص٢٤٥ - ٢٤٦)، وسوق الصرافين(طيفور، 1904، ص ١٧٩)، وسوق أو دار القطن(الخطيب البغدادي، 2002، ج1، ص٣٦)، وسوق الوراقين. (اليعقوبي، 1422هـ، ص٢٤٥).

وقد تعرضت أسواق بغداد للعديد من الحرائق ويورد التنوخي ذكر بعضها: " حدّثني أبو الحسين بن عيّاش رحمه الله، قال: حدّثني عمّي، قال: حدّثني أبي، قال: لما وقع ببغداد، حريق الجمل، اختلّ دكاني فيما اختلّ، وذهب مني مال عظيم، فقلت له: كيف كان حريق الجمل؟، قال: اجتاز في سوق الخرّازين، جمل عليه قصب، وكان رجل يثقب لؤلؤا، وبين يديه نار، فوقع طرف القصب على النار، فاشتعلت وبلغت إلى الجمل في لحظة، فكان الجمل، كلّما أحسّ بوقع النار عدا، وتنافض الشرار منه، في جانبي الطريق، فحرّق كل ما يجتاز به، فلم يزل على ذلك، إلى أن تلف الجمل، وتشاغل الناس بطفي الحريق الواقع في الدور والعقار، فكان حدّ ما احترق، من أوّل سوق الخرّازين إلى طاق الحرّاني، ووسط قطيعة الربيع، وتلف ناس كثير، وزالت نعم عظيمة، بذهاب الأموال، ورؤوس أموال التجار، وانهدام العقارات". (التنوخي، 1391هـ، ج2، ص101-102).

أما الحي التجاري الرئيس في الجانب الشرقي من بغداد فهو باب الطاق، في طرف الجسر المركزي، ومن ساحة هذا الجسر يتفرع سوقان: سوق الأساكفة، وسوق الطيب حيث تباع العطور والزهور، ووراء هذين السوقين تمتد سوق الطعام وفيها حوانيت للخبازين وللقصابين، وكانت سوق الصاغة في بناية فخمة. (ابن الجوزي، 1341هـ، ص٢٦، اليعقوبي، 1422هـ، ص٢٥٣).

وكانت سوق الغنم قرب باب المخرم، على ضفة نهر بطاطيا(الخطيب البغدادي، 2002، ج1، ص٦٩)، وفي سوق خضير كانت تباع طرائف الصين، وتقع هذه السوق قرب الجسر الأعلى. (اليعقوبي، 1422هـ، ص٢٥٤).

وكانت الملاحة نشيطة في دجلة وفي نهر عيسى ونهر الصراة وهي مرتبطة بنهر الفرات، وكانت هناك ثلاثة جسور تسهل المواصلات بين الضفة اليسرى والضفة اليمنى: الاول بمواجهة باب الطاق والثاني اسفل منه والثالث مقابل سوق الثلاثاء، على الأقل ابتداء من عام ٣٨٣هـ/ ٩٩٣، كما يروي الخطيب البغدادي اذ لم يكن الجسر الثالث موجودا قبل ذلك. (الخطيب البغدادي، 2002، ص435).

كانت بغداد تستورد من الموصل القمح والدقيق ومن البصرة التمور ومنتوجات الشرق وكانت هذه التجارة بالغة الخطورة، وقد سهلت التجارة أوراق الاعتماد التي كانت تستعمل حتى في الاغراض الشخصية الخاصة، وهكذا فان الامير الحمداني سيف الدولة كان قد نزل في بغداد في دار الفتيان ، فترك عند قفوله عنها صكا بألف دينار، لقد تعددت وتنوعت السلع التي كانت تصدرها بغداد إلى العديد من البلدان، ومن أهم هذه السلع ما يلي:

أ- الفواكه والحبوب:

حيث كان التجار البغداديون ينقلون كميات كبيرة من الحنطة والشعير إلى مناطق مختلفة بعد استيرادها وكان أهمها الحجاز لبيعها في موسم الحج. (العمرات، ص131).

يورد التنوخي عن استغلال التجار بيع الحنطة في أوقات الغلاء فيذكر: " حدّثني أبو الحسين بن عيّاش القاضي، قال: حدّثني أبو عبد الله الموسويّ العلويّ، البغداديّ: إنّه باع في عام أربع وثلاثين وثلاثمائة، عند اشتداد الغلاء، على معزّ الدولة، وهو محاصر، مقيم بظاهر بغداد من الجانب الغربيّ، كرًا معدّلا حنطة، بعشرين ألف درهم، قال: ولم أخرج الغلّة حتى تسلّمت المال، وحصل في داري، ثم أخرجت الغلّة فاكتالوها، وأخذوها، فنعوذ بالله من مثل هذه الأحوال" (التنوخي، 1391ه، ج1، ص352).

ب- المنسوجات:

حيث عرفت بغداد بصناعة المنسوجات العراقية، ويروي الذهبي أن الإمام مالك كان يقول: "إنما كانت العراق تجيش علينا بالدراهم والثياب ثم صارت تجيش علينا بسفيان الثوري". (الذهبي، 1998، ج1، ص153).

كما تاجرت بغداد في الخز والبز والثياب الرفيعة الكتانية والقصب وثياب القز الملونة وثياب الصوف العسلية الحسنة الصنع والصوف التكريتي والأزر، والعمائم الفاخرة والمناديل القصرية والستور الواسطية. (محمد الحسن، 1985، ص191)

ج- الزجاج:

اشتهرت بغداد بصناعة الزجاج والفخار، وقاموا بتصديره إلى العديد من البلدان، وقد شاهد الرحالة ابن جبير في الكعبة قناديل من الزجاج العراقي تزينها نقوش جميلة، وقد أشار إلى ذلك بقوله : "... وله خمسة مضاوئ، وعليها زجاج عراقي بديع النقش، أحدها في وسط السقف، ومع كل ركن مضواً". (ابن جبير، ص54).

د- صادرات أخرى:

إضافة لما سبق فقد تعددت السلع والصادرات البغدادية والتي كان ينتجها البغداديون ومن ذلك السجاد والثياب القطنية والحريرية وخاصة المناديل والعمائم. (أمين، 2011، ج4، ص205).

لقد كان للعديد من البغداديين تجارة مع القوافل، وقد أورد التنوخي قصة طريفة، حيث يذكر: " وحدّثني أيضا الحارثيّ، عمّن حدّثه، قال: سافرت في بعض الجبال، وكان معي دنانير خفت عليها، فأخذت قناة مجوّفة، وجعلت في أنبوبة منها الدنانير، حتى امتلأت بها، فلم تجلجل، ولا جاء لها صوت، ثم صببت في رأسها الرصاص [الحار]، حتى خفي أمرها، والتزقت، وجعلت فيها حلقة وسيرا، وكنت أمشي وأتوكّأ عليها، فخرج علينا اللصوص والأكراد، في عدّة مواضع، وأخذوا كلّ ما كان في القافلة، ولم يعرض لي أحد، إلى أن خرج علينا آخر دفعة، لصوص رجّالة، فشلحونا، فرأى أحدهم عكّازي، فاستملحها، وأخذها، فلحقني من الجزع عليها، بسبب الدنانير، أمر عظيم" (التنوخي، 1391ه، ج2، ص165).

الخاتمة:

شكل القرن الثالث والرابع الهجري/التاسع والعاشر الميلادي بطبيعته وسيطرة البويهيين على الخلافة العباسية ذا تأثير واضح في الحياة اليومية والنشاطات الاقتصادية للبغداديين، فلا يكفي في طبيعة الحال قيام العامة بأعمالها اليومية من دون وجود سيطرة حقيقية واستتباب الامن حيث شكل ذلك مقياساً للانتعاش الاقتصادي من عدمه فمع الدعم والتشجيع الحكومي للعامة من مزارعين وحرفيين وتجار والمحافظة على امنهم وسلامتهم نرى انتعاشاً في الاقتصاد وفي حال الاضطرابات كان ذلك تهديداً لسير الحياة اليومية.

وقد توصل البحث لعدة نتائج أهمها:

- من الأمور المسلم بها أن التأثير المتبادل بين العامة والسلطة الحاكمة هو ما يحدد طبيعة الحكم والحياة اليومية التي يعيشها العامة، ويعطينا لمحة عن الحقيقة التاريخية للاقتصاد وكافة نشاطاته سواء من الزراعة والصناعة والتجارة.
- شكلت الزراعة من النشاطات الاقتصادية اليومية المهمة لدى البغداديين كونه رادف مهم في استمرارية الحياة وكسب لقمة العيش، وبما أن القمح والشعير كان يعد مقياساً للخير أو القحط فقد كان الاهتمام بهذه الزراعات دور ومؤثر في تحديد نجاح اقتصاد الدولة من عدمه.
- نظراً لإدراك الدولة العباسية خلال القرن الثالث والرابع الهجري/التاسع والعاشر الميلادي بتأثير العامة ودورهم في جعل الحياة هادئة أو القيام باضطرابات لنقص الغذاء وعدم تقديم الخدمات اللازمة لسبل العيش وخاصةً الزراعية عملت على الاهتمام بالري وتطويره لتأمين الماء اللازم للزرع.
- مع توافر المواد الأولية من الزراعة ووجود يد عاملة وحرفية ذات كفاءة شهد بها العديد من المؤرخين فكان من الطبيعي أن تشتهر بغداد بالعديد من الصناعات التي كان للبغداديين دور مهم فيها حيث اشتهرت بغداد في تلك الفترة بالعديد من الصناعات كان أهمها النسج والخزف.

- إن تجار كل بضاعة انفردت بسوق خاصة، وأن القسم الغربي من بغداد كان أهم في التجارة من القسم الشرقي، وإن بغداد كانت عاصمة العراق التجارية وإليها تجلب البضائع من أنحاء العالم.

قائمة المصادروالمراجع

- إبراهيم، أيوب، (١٩٨١م)، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، دار الكتاب العالمي، بيروت.
- ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨هـ/1269م)، عيون الانباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- ابن الأثير، أبي الحسن عي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت 630هـ/1232م)، (1997)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ/1200م)، (1341هـ)، مناقب بغداد، منشورات محمد بهجة الاثري، بغداد.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ/1200م)، (2016)، تلبيس ابليس، تحقيق: احمد بن عثمان، مدار الوطن للنشر، السعودية.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ/1200)، (1992)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن العبري، غريغوريوس بن اهرون بن توما (ت 685هـ/1286م)، (1983)، مختصر تاريخ الدول، دار الرائد، بيروت.
- ابن الفقيه الهمداني، أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الهمداني (ت 951/340م)، (1885)، مختصر كتاب البلدان، المكتبة الجغرافية الربية، ليدن.
- ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين (ت ٦١٤هـ/1217م)، رحلة ابن جبير، دار بيروت، بيروت.
- ابن حوقل، محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، أبو القاسم (ت بعد ٣٦٧هـ/977م)، (1938)، صورة الأرض، دار صادر، بيروت.
- ابن خلدون، عبد الرحمن (ت : ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٦ م)، (2000م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الفكر، بيروت
- الازدي، علي بن ظاهر (ت: ٦٢٣ هـ/ ١٢٢٣ م)، (1985)، اخبار الدولة الحمدانية بالموصل وحلب وديار بكر والثغور، تحقيق: تميمة الرواف، دار حسان للطباعة والنشر، بغداد
- الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي (ت ٣٤٦هـ/957م)، (2004)، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت.
- أمين، وسن سمين محمد، (2011)، التجارة في الحجاز خلال العصر الفاطمي، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية.
- التنوخي، المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري، أبو علي (ت ٣٨٤هـ/994م)، (1391هـ)، نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت.
- الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ/1037م)، خاص الخاص، تحقيق: حسن الأمين، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ/1037م)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف، القاهرة.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت 255هـ/868م)، (1938)، الدلائل والاعتبار في الخلق والتدبير، المكتب العربي، دمشق.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت 255هـ/868م)، (1983)، البخلاء، المكتب العربي، دمشق.
- الجاف، حسن كريم ، (٢٠٠٣ م)، الوجيز في تاريخ ايران بيت الحكمة، بغداد
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت 463هـ/1070م)، غنية الملتمس إيضاح الملتبس، (2002)، تحقيق: يحيى بن عبد الله البكري الشهري، مكتبة الرشد، الرياض.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت: 748هـ/1347م)، (1998)، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- سبط ابن الجوزي، أبو المظفر يوسف بن قز أغلي بن عبد الله (ت 654هـ/1256م)، (2013)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد بركات، كامل محمد الخراط، دار الرسالة العالمية، دمشق.
- سعاد إبراهيم بن محمد الحسن، (1985)، النشاط التجاري في مكة المكرمة، جامعة ام القرى.
- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي (ت ٣٣٥هـ/946م)، (1936)، اخبار الراضي والمتقي بالله، مطبعة الصاوي، القاهرة.
- ضيف، شوقي، (1995)، تاريخ الادب العربي، دار المعارف، القاهرة.
- الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠ هـ/٩٢٢ م)، (١٣٢٦ هـ)، تاريخ الامم والملوك، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة ط1 .

- طيفور، أحمد بن ابي طاهر (ت 280ه/893م)، (1904)، تاريخ بغداد، تحقيق: ه. كلز.ليبزج.
- علي، لطيفة صلاح عبد الهادي، (2022)، المصادرات في العصر البويهي (334-447ه/945-1055م)، جامعة الفيوم، العدد الرابع.
- العمرات، سلطان عايد، النشاط التجاري لمدن الحجاز في صدر الإسلام، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، الأردن.
- القرماني، احمد بن يوسف (ت: ١٠١٩ ه/١٩١٠ م)، (١٩٩٢ م)، اخبار الدول واثار الأول في التاريخ، دراسة وتحقيق احمد خطيط و فهمي سعد عالم الكتب، بيروت.
- المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 346-957م)، (2005)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت.
- مسكويه، أبو علي الرازي (ت 421ه/1030م) ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم امامي، دار سروش، طهران، (2002م).
- المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري (ت 380ه/990م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت.
- المقريزي، احمد بن علي (ت: ٨٤٥ ه/١٤٤٢م)، (١٩٥٦م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة.
- النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري (ت 733ه/1332م)، (1423ه)، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.
- همايلية، أماني، (2022)، الوضع الاقتصادي للدولة العباسية زمن البويهيين (334-447ه/945-1055م)، جامعة 8 ماي 1945، قالمة.
- هنتس، فالتر، (1970)، المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة: كامل العلي، منشورات الجامعة الأردنية.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦ه/1228م)، (1993) معجم الأدباء، تحقيق: احسان عباس، دار الغرب الإسلامي.
- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت بعد ٢٩٢ه/904م)، (1422ه)، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت.